تفسير ابن كثير

يقول تعالى آمرا بالاقتصاد في العيش ذاما للبخل ناهيا عن السرف { ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك } أي لا تكن بخيلا منوعا لا تعطي أحدا شيئا كما قالت اليهود ـ عليهم لعائن ا ـ يد ا مغلولة أي نسبوه إلى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله { ولا تبسطها كل البسط } أي ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا وهذا من باب اللف والنشر أي فتقعد إن بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة : .

(ومن كان ذا مال فيبخل بماله ... على قومه يستغن عنه ويذمم) .

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير وهو الدابة التي عجزت عن السير فوقفت ضعفا وعجزا فإنها تسمى الحسير وهو مأخوذ من الكلال كما قال { فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير } أي كليل عن أن يرى عيبا هكذا فسر هذه الاية بأن المراد هنا البخل والسرف : ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أنه سمع رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة منها مكانها فهو يوسعها فلا تتسع] هذا لفظ البخاري في الزكاة .

وفي الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [أنفقي هكذا وهكذا وهكذا ولا توعي فيوعي ا عليك ولا توكي فيوكي ا عليك] وفي لفظ [ولا تحصي فيحصي ا عليك] وفي صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبي هريرة Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [إن ا قال لي : أنفق أنفق عليك] وفي الصحيحين من طريق معاوية بن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الاخر : اللهم أعط ممسكا تلفا] .

وروى مسلم عن قتيبة عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا [ما نقص مال من صدقة وما زاد ا عبدا أنفق إلا عزا ومن تواضع رفعه ا] وفي حديث أبي كثير عن عبد ا بن عمرو مرفوعا [إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا

وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا] وروى البيهقي من طريق سعدان بن نصر عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبيه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ما يخرج رجل صدقة حتى يفك لحي سبعين شيطانا] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد ا بن مسعود قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [ما عال من اقتصد] وقوله : { إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر } إخبارا أنه تعالى هو الرزاق القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء لما له في ذلك من الحكمة ولهذا قال : { إنه كان بعباده خبيرا بصيرا } أي خبيرا بصيرا بمن يستحق الغنى ويستحق الفقر كما جاء في الحديث [إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه] وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجا والفقر عقوبة عياذا با من هذا وهذا